التصورات الاجتماعية للإدمان لدى أولياء المراهق المدمن

مرحباوي سارة[1]

[1] جامعة باجي مختار عنابة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم علم النفس

ملخص : هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة التصورات الاجتماعية حول الإدمان المتواجدة لدى أولياء المراهقين المدمنين ومختلف المفاهيم المكونة لديهم حول الادمان والمخدرات وكذا الاسباب التي دفعت بأبنائهم الى دخول عالم التعاطي، وقد أجريت على خمسة حالات من أولياء المراهقين المدمنين والذين يترددون مع أبنائهم على مركز معالجة الإدمان ببوخضرة، طبقت عليهم تقنية الشبكة الترابطية لدراسة التصورات الاجتماعية والمصممة من طرف الباحثة : Anna Maria Silvana De Rosa والتي تهدف أساسا إلى تحديد المضامين، مؤشرات القطبية والحيادية في المعاني المرتبطة بالتصور الاجتماعي، وأظهرت النتائج ما يلي:

*محتوى التصورات سلبي.

*النواة المركزية للتصورات تعبر عن حالة من الصدمة والشعور بالذنب.

*تتمثل أسباب الإدمان من وجهة نظر الأولياء في: نقصان الإهتمام من قبلهم، عدم النضج رفقاء السوء، وإنعكاس لمشاكلهم الأسرية.

الكلمات المفتاحية: التصورات الإجتماعية، الإدمان، أولياء المراهق المدمن.

1- مقدمة/إشكالية:

يسعى كل فرد منا إلى ممارسة السلوكيات الصحية التي تمكنه من الحفاظ على صحته فيحاول جاهدا إتباع الأساليب والعادات التي تمكنه من الارتقاء بصحته النفسية والجسمية، إلا أن هناك من قد يلجأ إلى ممارسات وأساليب غير صحية وضارة يمكنها أن تهدد حياته وتجعله عرضة لكثير من المخاطر، ولعل أبرز هذه السلوكيات السلبية والمضرة الإدمان بمختلف صوره وأشكاله والذي أخذ في الانتشار مؤخرا لاسيما بين فئة المراهقين.

حيث لوحظ لدى بعض المراهقين سرعة تأثرهم بالسلوكات الضارة وانجرافهم لتعلمها وممارستها، كالإفراط في شرب الكحول والتدخين وتعاطي المخدرات وسلوك المغامرة الذي يمكنه أن يقود إلى الموت المبكر، فجميعها ممارسات قد تظهر في مرحلة المراهقة وأحيان تجتمع لتشكل أعراضا لمشكلة سلوكية، هذا وتختلف عوامل وأسباب هذه السلوكيات غير الصحية فمنها ما يرتبط بجماعة الرفاق وحب الظهور بمظهر متطور ومحبب، ومنها ما يرتبط بالبحث عن المتعة والمغامرة والنشوة وكذا لفت انتباه الآخرين هذا بالإضافة إلى السعي لما يرونه تكيفا مع مختلف الضغوط والمشاكل (تايلور، ص276، 2008).

وباعتبار مرحلة المراهقة مرحلة حساسة حيث أن سرعة النمو والنضج البيولوجي المفاجئ وزيادة مستوى الانفعالات والعواطف يكون لها أثر واضح في سلوك الفرد وشخصيته، فقد يكون اتجاهه لمثل هكذا سلوك(الإدمان) يعتبر وسيلة للبحث عن الهوية وإثبات الذات(ades.j ,lejyeux ,2004,p12).

وبالرغم من تعدد أسباب لجوء المراهق للإدمان فإن للأسرة دورا كبيرا في مدى إقدامه على مثل هذه السلوكيات وتراجعه عنها، فالجو العائلي بصفة عامة مسؤول عن تكيف الفرد أو انحرافه. ولا شك أن ما يسود الأسرة من مشاكل وصراعات وشجارات تؤثر سلبا على استقرارها، فالتفكك الأسري وغياب الاتصال بين أفرادها وغياب الرقابة والإشراف الوالدي والتذبذب في المعاملة أو تواجد انحرافات سلوكية لدى الأولياء يؤدي إلى معايشة المراهق تجارب سلبية تؤثر على نموه واستقراره النفسي وتوازن شخصيته ما قد يدفع به إلى الانحراف والإدمان.فقد يعيش تجارب صادمة أو يتواجد في بيئة ممرضة ومليئة بالمشاكل تدفع به إلى سلوك التبعية لعقار أو مادة معينة حيث أن الصراع وعدم التكيف مع المحيط يؤدي بالذات إلى الهروب والبحث عن ملجأ في الأدوية النفسية(عفاف عبد المنعم،1999،ص 29).

وبهذا لا يمكن تجاهل دور الأسرة سواء كانت عاملا رئيسيا في سلوك الإدمان أو لا خاصة الوالدين في مساعدة ابنها المدمن على تصحيح سلوكه وتخلصه من تبعية المخدر الذي يتناوله، باحتوائه والاهتمام به وكذا مساندته وتقديم الدعم له لتخطي المشاكل التي تعترضه، وقبل هذا يجب أن نعلم أن والدي المراهق المدمن قد يصدمان بعد اكتشافهما لحقيقة إدمان ابنهما، فقد تتخللهما في البداية مجموعة من المشاعر السلبية كالرفض والإنكار والاستياء وغيرها من المشاعر المؤلمة، لكن مع مرور الوقت سيتقبلان هذه الحقيقة ويبدآن في البحث عن الحلول ومحاولة تقديم المساعدة لهذا الابن، إلا أن هناك أسر قد يؤثر فيها سلوك الإدمان بطريقة سلبية فتزداد مشاكلها وتتأثر العلاقات المتواجدة بين أفرادها مما قد يؤثر سلبا على التكفل المبكر بالابن المدمن، وبين هذا وذاك فوالدي المراهق المدمن يحملان في طياتهما معاني عديدة ومفاهيم حول سلوك الإدمان الذي يهدد حياة ومستقبل ابنيهما، هذه المفاهيم التي تكونت نتيجة هذا الوضع الذي أجبرا على التواجد فيه وسط عادات وتقاليد ومعتقدات مجتمعية مختلفة وبهذا فقد ترسخت في ذهنهما تصورات وأفكار ومعاني حول ابنهما المدمن وهذا ما نعرفه بالتصورات الاجتماعية والتي تعني مختلف المعارف التي تبنى لدى الفرد حول موضوع ما عبر الزمن ومن خلال تواصله مع أفراد مجتمعه، وبهذا سنحاول من خلال هذه الدراسة معرفة فحوى وطبيعة التصورات الاجتماعية لدى أولياء المراهق المدمن من خلال طرح التساؤل التالي:

- ما هي طبيعة التصورات الاجتماعية الموجودة لدى أولياء المراهق المدمن حول الادمان؟

2-فرضيات الدراسة:

من خلال الطرح السابق لتساؤل الدراسة قمنا بصياغة الفرضية التالية:

- تصور الإدمان لدى أولياء المراهق المدمن هو تصور سلبي

3-تحديد المفاهيم الأساسية :

-**التصورات الاجتماعية** حسب **D.jodlet** هي شكل من أشكال المعرفة الخاصة والمتقاسمة إجتماعيا تتشكل من خلال التجارب والمعلومات والمعارف المكتسبة من العالم الخارجي عن طريق التقليد، التربية والتواصل الاجتماعي.(d.jodlet,1993,p18)

أما التعريف الإجرائي للتصورات الاجتماعية : هي أنظمة التفكير لتي يحملها أولياء المراهق المدمن حول إدمان إبنهم من خلال ما تكشفه شبكة التصورات الاجتماعية لAnna Maria Silvana DeRosa

أولياء المراهق المدمن : الولي هو مقدم الرعاية المسؤول عن الأبناء

أما التعريف الإجرائي : هم أب وأم المراهق المدمن على المخدرات والذين يترددون مع أبنائهم على مركز معالجة الإدمان ببوخضرة . عنابة .

المدمن : الإدمان هو التعاطي المتكرر لمادة نفسية لدرجة أن المدمن يكشف عن إنشغال شديد بالتعاطي ورفض الانقطاع وإذا ما انقطع عن التعاطي تصبح حياته تحت سيطرة التعاطي إلى درجة تصل إلى إستبعاد أي نشاط أخر.(فاروق سيد عبد السلام،1977)

والمدمن هو الشخص الذي يتعود على تعاطي عقار معين مثل الكحول والمخدرات وفي حالة توقف تعاطيه يشعر بحالة من الاضطراب النفسي والجسمي حتى يتناول جرعة من المادة التي تعود عليها (خالد محمد المهندي،2013،ص 45)

أما التعريف الإجرائي للمدمن : هو المراهق الذي يكون في حالة تبعية لعقار معين وهذه التبعية قد أثرت على تصورات الوالدين حول هذا الإدمان.

المخدرات: تعرف منظمة الصحة العالمية المخدرات بأنها كل المواد التي تستخدم في غير الأغراض الطبية ويكون من شأن تعاطيها تغير وظائف الجسم والعقل ويؤدي الإفراط في تناولها إلى حالة من التعود والإدمان بالإضافة للآثار الجسمية، النفسية، والاجتماعية.(خالد محمد المهندي،2013،ص 46)

والتعريف الإجرائي للمخدرات : هي تلك المواد طبيعية كانت أو اصطناعية التي يستخدمها المراهق المدمن والتي جعلته في حالة تبعية لها.

4- منهج الدراسة :

المنهج الوصفي الذي يعتبر إحدى المناهج الأساسية والرئيسية لأنه يقوم بوصف ما هو كائن وتفسير الأوضاع والحقائق ولا يقتصر على جمع البيانات وتبويبها ولكنه يتضمن أيضا قدرا من تفسير هذه البيانات.

5- عينة الدراسة:

اختيرت بشكل قصدي وتمثلت في خمسة أولياء للمراهقين المدمنين والذين يترددون معهم على مركز معالجة الإدمان ببوخضرة . عنابة .

6-أدوات المقابلة :

تقنية الشبكة الترابطية: اعتمدت هذه الدراسة بصورة أساسية على تقنية الشبكة الترابطية ReseauD'assosiation وهي إحدى التقنيات المعتمدة في دراسة التصورات الاجتماعية وضعت وصممت من طرف الباحثة: Anna Maria Silvana DeRosa سنة 1995 وتهدف أساسا إلى تحديد بنية التفكير المرتبط بالتصور الاجتماعي من خلال تحديد: مؤشرات القطبية والحيادية في حقل المعاني ويرمز لمؤشر القطبية بالرمز p (indice de polarité) ويحسب بطرح مجموع الكلمات الموجبة من مجموع الكلمات السالبة والناتج يقسم على العدد الكلي للكلمات، أما مؤشر الحيادية فيرمز له بالرمز n (Indice de neutralité) ويحسب بطرح مجموع الكلمات الحيادية من مجموع الكلمات الموجبة والسالبة وتقسيم الناتج على العدد الكلي للكلمات.

7-عرض ومناقشة النتائج:

1.7. عرض نتائج الدراسة:

جدول(1) يمثل النتائج العامة للشبكة الترابطية مع حساب مؤشر القطبية والحيادية للتصور الاجتماعي للادمان على المخدرات من قبل أولياء المراهق المدمن.

الحالة	العدد الكلي للكلمات المتداعية	عدد الكلمات (+)	عدد الكلمات (−)	عدد الكلمات المحايدة	مؤشر القطبية	مؤشر الحيادية
1	19	3	14	2	−0.57	−0.78
2	19	2	17	0	−0.78	.1
3	18	2	16	0	−0.77	.1
4	14	0	10	4	−0.71	−0.42
5	17	3	10	4	−0.41	−0.58

بعد أن طبقنا تقنية الشبكة الترابطية على كل حالة من الحالات الممثلة للعينة وذلك بتطبيق معادلات حسابية : تتمثل في حساب مؤشر القطبية (p) ومؤشر الحيادية n التي أشرنا لها مسبقا.

وانطلاقا من حساب العدد الكلي للكلمات المتداعية لكل حالة ثم عدد الكلمات الايجابية (+) وعدد الكلمات السلبية (−) وأخيرا عدد الكلمات المحايدة (0) قمنا بتلخيص البيانات الكيفية وتحويلها إلى بيانات كمية تسمح لنا بفهم أوضح وأدق لمعنى التصور، مؤشر القطبية بين [0.41− و0.77−] الذي ينتمي إلى المجال [0،5 ، .1] مما يعني أن معظم الكلمات المتداعية حول الإدمان ذات إيحاء سلبي بمعنى أخر فإن نسبة 01،77% من الكلمات المتداعية السلبية من أصل 87 كلمة متداعية في الحالات كلها.

في حين أن مؤشر الحيادية يتأرجح بين [0.4− و1−] هذا يشير إلى أن القليل من الكلمات لها إيحاء محايد حيادية ضعيفة مما يعني أن الكلمات المحايدة المتداعية تمثل 49،14% م أصل 87 متداعية من الشبكة الترابطية في جميع الحالات، هذا الحياد الضعيف يفسر النمطية في الاستجابات لدى العينة لأن جميع أفراد العينة يعتبرون " الإدمان" ظاهرة مدمرة بكل أبعادها وتداعياتها الذي يمثله المنحنى بمؤشر القطبية والحيادية في الشبكة الترابطية ولتبيان ذلك بأكثر وضوح ودقة قمنا برسم منحنى بياني يوضح مستويات مؤشر القطبية والحيادية الاجتماعي للإدمان من قبل أولياء المراهق المدمن (أنظر الشكل التالي) :

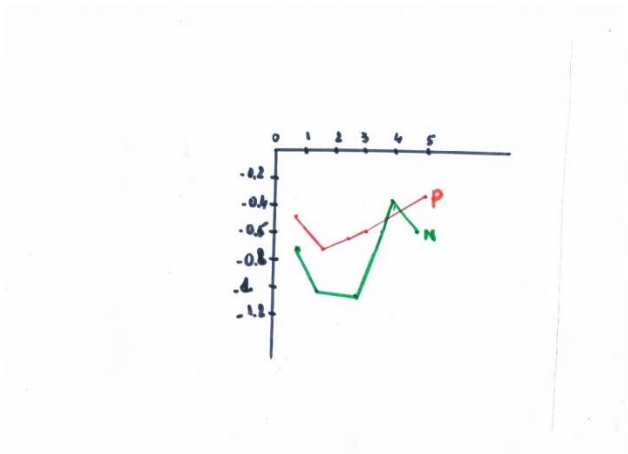

شكل (01):منحنى بياني يوضح مستويات مؤشر القطبية والحيادية للتصورات الاجتماعية للإدمان من قبل أولياء المراهق المدمن.

جدول(2) نتائج دراسة النواة المركزية للتصورات الاجتماعية للإدمان على المخدرات من قبل أولياء المراهق المدمن.

رتبة الظهور							
التكرار	الأكثر تكرارا	القوى (الأوائل)			الضعيف (الأواخر)		
		الكلمة	التكرار	النسبة المئوية	الكلمة	التكرار	النسبة المئوية
		صدمة	5	%74،5	قلة الاهتمام	2	%29،2
		إحساس بالذنب	5	"	والحنان	2	"
		الدعاء في الليل والنهار	5	"	سرقة	2	"
		الابن الضحية	5	"	أنا متفائل	2	"
		صعوبة بالغة في التقبل	5	"	أمراض وتغيرات جسمية	2	"
		أصدقاء السوء	4	%4،59	الموت	1	%1،14
		ضياع المستقبل	4	"	التعلم من الأخطاء	1	"
		كابوس	4	"	الابتعاد عن الدين	1	"
		مشاكل أسرية	4	"	مصروف أكثر من اللزوم		
		دمار نفسي	4	"			
		بكاء	4	"			
		الحياة إنقلبت	4	"			
		تدمير العائلة بأكملها	3	%44،3			
		إكتئاب	3	"			
		ضياع	3	"			
		مشاعر متشتتة	3	"			
		ندم	3	"			
		نظرة الناس	3	"			
		قلق	3	"			
		عدوانية	3	"			
		المجموع	74	%85،05	المجموع	13	%94،14
					مجموع الكلمات المنتجة	87	%100

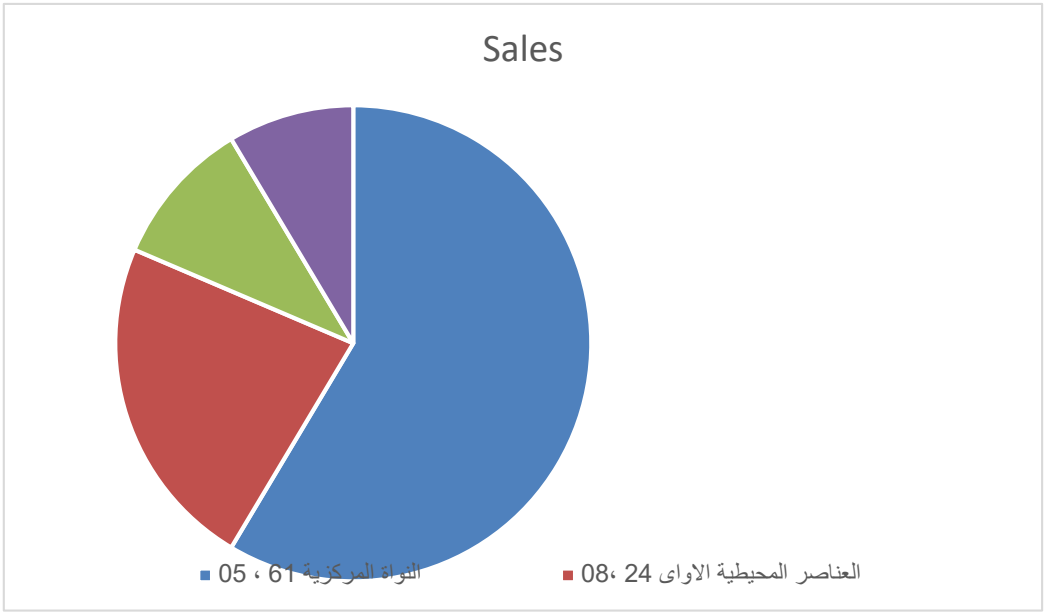

- دائرة نسبية تبين كل السلاسل المكونة لتصور الأولياء.

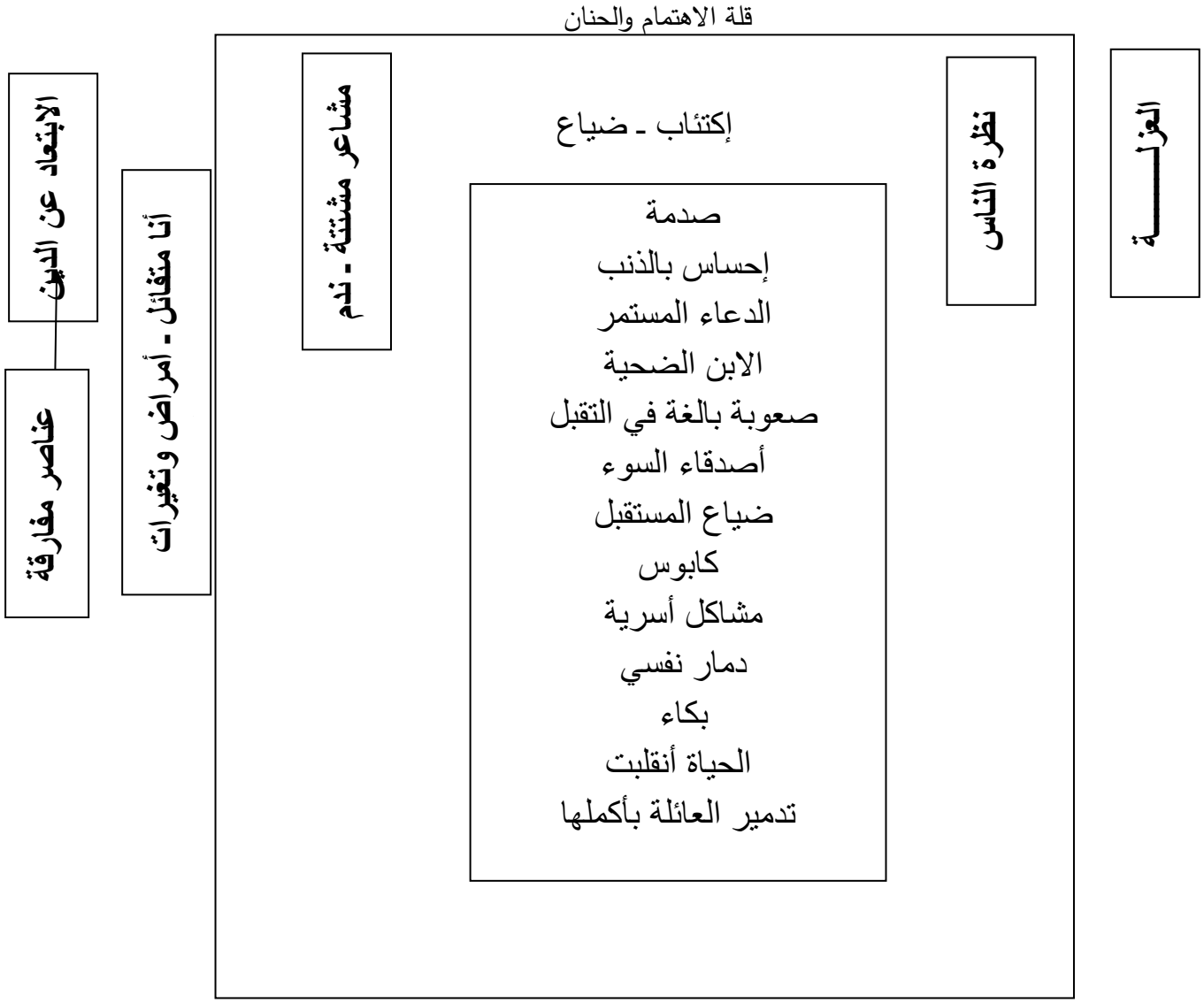

- مخطط يوضح أبعاد التصور لدى مجموعة أفراد العينة حسب النواة المركزية والعناصر المحيطة بها.

2.7.مناقشة وتحليل النتائج:

انطلقنا من الأهداف الرئيسية لبحثنا، عمدنا إلى دراسة موضوع التصورات الاجتماعية للإدمان على المخدرات لدى أولياء المراهق المدمن.

ومن خلال النتائج المتحصل عليها توصلنا إلى الإجابة عن تساؤلات بحثنا، فقد اتضح لنا من خلال الدراسة الميدانية أن تصور جميع أفراد العينة موضوع البحث للإدمان كان يحمل معاني جد سلبية أين جاءت معظم الكلمات المتداعية ذات إيحاء سئ، وهذا بدا من الصدمة، حيث أجمع الأولياء أن اكتشافهم لتعاطي أبنائهم المخدرات شكل لهم صدمة حقيقية وجرح نرجسي كان من الصعب عليهم أن يتقلبوه، لأن الإحساس بالذنب كان ملازمهم طوال الوقت وهذا يترجم نوع العلاقة التي كانت تربطهم بالأبناء، فنزعة التملك لديهم والخوف الزائد عليهم والاهتمام والحماية المفرطة تحول دون تقدم الأبناء نحو تحقيق الهوية والاستقلالية اللذان يعتبران مطلبان ضروريين في هذه المرة وهذا ما تؤكده دراسة Lebreton حيث يرى أن سلوك المخاطرة (مثل تناول الأقراص المهلوسة والقيادة الخطرة) في المراهقة هو وضع الذات على المحك حيث أن الرهان ليس الموت، بل هو أن يحيا أكثر "كما يرى أنها محاولات مؤلمة لوضع الذات في العالم (Bolle De Ball.M Gilles A 2003.P127). وعدم احترام الأولياء لمساحة الخصوصية في حياة ابنهم الجديدة تؤدي إلى ظهور سلوكات التمرد والانحراف.

بالإضافة إلى أن القسوة الزائدة وعدم الاهتمام المعتدل بالأبناء يدفع بهم إلى تعويض التبعية بالوالدين نحو تبعية بموضوع خارجي مثل الإدمان فالعلاقات السيئة بين الوالدين والأبناء أو العلاقات السيئة بين الأزواج وما ينتج عنها من خلافات ومشاجرات مستمرة تؤدي إلى سوء التكيف وإلى أنواع عدة من الانحراف والإدمان (محمد سلامة غباري، 2002، ص54) وعدم وعي الأولياء بخطورة مواقفهم الشعورية منها واللاواعية يؤثر تأثيرا مباشرا على مدى استمرار الأبناء في السلوك الادماني، ومحتوى هذه الأفكار والاتجاهات من شأنه أن يحدد مصير وكذا مسار عملية الفطام والتماثل للعلاج من قبل المراهق، فمحتوى التصورات السلبي حول الإدمان من اتهامات للذات وللمراهق، واتهامات للمحيط ولجماعة الرفاق، البقاء في الدائرة المغلقة من مشاعر الإحساس بالذنب القلق والاكتئاب واعتبار الابن ضحية، من شأنه أن يعرقل أو يؤخر عملية التعافي من الإدمان، فالأسرة أول مؤسسة والمساهم المباشر في تقبل المراهق للعلاج والاستجابة له، وأي إيحاءات أو إسقاطات لمحتوى هذه الأفكار السلبية من شأنها أن يؤدي إلى التقهقر والتراجع.

8.اقتراحات وتوصيات:

من خلال النتائج المتوصل اليها يمكن اقتراح التوصيات التالية:

- ✓ التوكيد على دور الأسرة في تهيئة الظروف النفسية والصحية السليمة لتربية الأبناء للوقاية من مخاطر الانحرافات السلوكية مثل الإدمان.
- ✓ محاولة تغيير أنماط التفاعل والاتصال الخاطئة في الأسرة وتحسين طبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة.
- ✓ إكساب الأسرة بعض المهارات الاجتماعية التي تحسن من كفاءة التفاعل الاجتماعي للأسرة.

- ✓ العمل على تصحيح أو تعديل محتوى الأفكار والتصورات التي يحملها الآباء حول الإدمان والتي تكون سلبية وتؤثر بشكل سيء على سير الخطة العلاجية.
- ✓ إعداد الأسرة لتقبل فكرة العلاج الأسري ودورها الفعال في ذلك وإدماجهم في المناقشات، وإعداد حصص مرافقة خاصة بهم.

9.خاتمة:

تعتبر مرحلة المراهقة فترة أزمة واضطراب وتوتر بامتياز لذا سميت هذه الفترة بأزمة المراهقة، حيث يصفها ستانلي هول بأنها مولد جديد للفرد وفترة عواصف وتوتر وشدة، تظهر فيها إلى الوجود أعلى السمات الإنسانية وأقواها، وفي بعض الحالات يتعذر مرور هذه الفترة الحرجة، ما يؤدي إلى ظهور بعض الانحرافات منها أنواع الإدمان على العموم ومن العوامل المساعدة على ذلك هي البيئة الأسرية خاصة الوالدين الذين لا يفهمان المراهق ولا يستطيعان مساعدته، والذي قد يؤدي إلى الإقدام على أعمال المغامرة والاستكشاف ما قد يساعد على وقوعه في دائرة الإدمان على المخدرات، والعائلة في هذه الحالة لا تساهم في ظهور بعض الانحرافات فحسب بل تؤدي إلى ترسيخها عن طريق تصوراتها وأفكارها اللاعقلانية حول سلوكيات أبنائهم وكذا الجهل بطريقة التعامل معها.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- المهندي، خالد محمد.(2013).المخدرات وآثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج. قطر: مركز المعلومات الجنائية لمكافحة المخدرات لمجلس التعاون لدول الخليج.
- عبد السلام، فاروق سيد.(1977).سيكولوجية الادمان.القاهرة: عالم الكتب.
- عبد المنعم، عفاف.(1999) الادمان، دراسة نفسية لأسبابه ونتائجه. مصر: دار المعرفة الجامعية.
- غباري، محمد سلامة. (2002)الادمان، اسبابه ونتائجة وعلاجه، دراسة ميدانية.(ط2). الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- شيلي، تايلور.(2008).علم النفس الصحي. ترجمة وسام درويشبريك، وفوزي شاكر طعمية. (ط1). عمان. دار الحامد للنشر والتوزيع.

المراجع الاجنبية:

- Ades.JLejyeux.(2004).conduite de risque. France : EMC-psychiatrie.volume1,
- Bolle de Ball.M ,Gilles.A.(2003).le sport à corps et à cris.Paris : ed ESKA,
- Jodlet.D (1993) : les representations sociales. Paris :3eme edpressuniversitaire de France.